الواجبات المقربة

لحضرة الكاتب الجيد لرخ افندي انطون ناظر المدرسة الارثوذكسية بالسكاكة طرابلس

٤

طال بنا البحث في الامر الاول من الواجبات السلبية فلنعد الى ما بقي منها وهي ان لا يمس الانسان صيت غيره ولا شرفهُ ولا حريتهُ ولا مالهُ . وهي واجبات واضحة لا تحتاج الى اثبات بالشريعة البشرية والرأي العام يعاقبان من يخالفها عقابًا شديدًا لهن اذًا في غنىً عن اثباتها وانما نذكر في ما يلي الاوجه التي لا تعرض لها قوانين الامم وهي التي تلقي عليها الهيئة الاجتماعية ستار التسامح والاغضاء . ونورد منها امثلة

يُنشر زيد كتابًا نفسيًا يحتمل فيهِ الخير ويحيلهُ الى المأمن ويشترهم عليهِ فيبعثهُ في الغد وجه الشرطي على الباب ويعودهُ الى المحاكمة مع ان كتابهُ النفسي لا يطلع عليهِ الا النزر القليل . ولكن ليبسط تلك الايادي عينها باسلوب خصوصي في سياق رواية يقتل امام الوف والوف من الرجال والنساء والعذارى فلا يعترض احد مؤلف الرواية ويرمى الناس في الملعب كالبناء المرصوص يصرخون ويقهقهون لرجل بسيط تخدعهُ امرأتهُ الشيمة وتتخذ دونهُ عشيقًا وما علموا انهم يضحكون للرذيلة ويحيونها الى زوجاتهم وبناتهم . وترى في الملعب كثيرات من النساء الفاضلات يلذ لهن النظر الى تلك المشاهد معاذ الله انهن لسن على شيء من الفضيلة وما فضيلتهن الا تظاهر ورياء اذ لو كانت حقيقية تامة في النفوس لكانت واشمئزاز من منظر الرذيلة وان اولى درجات الرذيلة الارتياح الى منظرها والسرور فيها . والشرقيون قد اخذوا في احياء فن التمثيل بينهم ولا يزالون في اول الطريق فليحذروا من ان يجاروا في رواياتهم مسايرة لتلك السموم القاتلة التي تسمم شرف الامة وآدابها . وليعلم الكتاب منهم انهم يسيئون الى الامة اكبر اساءة اذا اطاعوا شيطان العواطف والشهوات ودسوا تلك السموم في مسرات اخوانهم

ولا نرى اكره الينا من النميمة والنمامين ومع ذلك فانا كثيرًا ما نسمع . نسمع رجلاً يروي عن آداب زيد او عمرو رواية مضرة بصيته وشرفهِ فنصغي اليهِ بشاشة وتلذ لنا حكايتهُ ونعجب بتصرفهِ في الكلام ولا نكتفي بذلك بل نناقل السخنا تلك الرواية ونلقيها الى اصدقائنا وان كان لنا شيء من الادب قفيناها بهذه العبارة " ليس هذا ما اعتقدهُ ولكن

هذا الذي سمعتهُ من الناس وما انا الاَّ ناقل ما سمعت " . ولاحظوا هذه الفرابة المضحكة ان هؤلاء الذين يثلمون صيت قريبهم هذا الثلم يحسبون انفسهم بلا شرف ولا دين اذا اذاعوا عليهِ درهماً واحداً . افيظنون اذاً ان المال اثمن من صيت الانسان وعرضهِ وشرفهِ . كلاَّ واذا كان الطعن بالكين يدعى قتلاً فيجب ان يسمَّى كذلك الطعن باللسان وربما كان افظع انواع القتل لانهُ قتل الصيت والشرف وهما اثمن شيء في الانسان . واشد ما في الانسان فتكاً لسان يطلقهُ في اعراض الناس وقد قيل : يُقطَع الشجر بالفؤوس فيثبت ويقطع الثلم بالسكاكين فيندمل ولا يندمل ما جرح اللسان . وقال الشاعر

جراحات السنان لها التئامُ ولا يلتام ما جرح اللسانُ

وقد شبه فيلسوف شفة النمام بكاس الحجَّام الَّتي تمتص الدم الفاسد من الاجسام . فما اصح هذا التشبيه في مَن ينهش باثيابهِ لحم قريبهِ ويمزق ما هو لديهِ اعز واثمن من كنوز سليمان . وحينما يمسك الشعب مجرماً ويريد الفتك بهِ تبادر الحكومة إلى تخليص ذلك التعيس من ايديهم ولا تسمح ان تسقط شعرة من رأسهِ قبل استنطاقهِ ومحاكمتهِ واحضارهِ امام الشهود واقامة وكيل يتولى المحاماة عنهُ . اما الثالبون والثالبات فلا يجشمون من عناء هذا التحقيق شيئاً ولا يكلفهم الحكم على صيت القريب وشرفهِ غير كلمات قليلة يقولونها وهم يضحكون ويمزحون . فيا ناهشي اعراض الناس العابثين بشرفهم وصيتهم ملأ ذكرتم ما قيل عن المرأة الخاطئة : من كان منكم بلا خطيئة فليرمها اولاً بحجر . وانتم من كان منكم بلا عيوب فليطلق لسانهُ في عيوب الناس وزلاَّتهم

ولا شيء اعز على الانسان من حريتهِ . ولا يستطيع الانسان القيام بواجباتهِ ولا يستفيد شيئاً من الملك والمال ان لم يكن حرًّا مستقلاً بامور نفسهِ يروح ويغدو إلى حيث تدفعهُ مصلحتهُ ويربي اولادهُ على الطريقة والديانة الَّتي يراها ويدبر اشغالهُ بنفسهِ بلا مداخلة القوة الحاكمة في حريتهِ الاَّ فيما تقتضيهِ الحرية العموميَّة صارفاً سعيهُ في تدبير منزله واولادهِ كل عناية واهتمام . ومع ذلك فكثيرًا ما يطرأ على هذا الهيكل البيتي المقدس مصائب سياسيَّة تولدها الشهوات السياسيَّة والمصالح الذاتية فتزعزع اساس العائلة وتمس مبدأ استقلالها الطبيعي وحريتها الطبيعية . فما ابعدك عن الكمال ايها الانسان . ألا تزال اسمى مبادئك المقدسة عرضة لصدمات الجهل حتى في اعظم مراكز العمران

واهم انواع الحرية واكثرها قداسة واجدرها بالاحترام حرية الضمير ومع ذلك فقلما نعبأ بها . فكل ملة تحسب ان الله قد اقامها للهداية الاخرى فتسعى بكل قواها في شد الناس

اليها والضغط على افكارهم زاعمة انها ترضي بذلك الخالق الحكيم وما علمت انها تخالف مشيئتهُ وناموسهُ العظيم الذي خصَّ بهِ الفكر البشري وهو : حرية الضمير . ولو شاء الله لجعل الناس امة واحدة واراح ماري دي ميديسيس من عناء ذبح سبعين الفاً من الوثنيات في يوم عيد برتولماوس . واذا كان الله قد ترك البشر حرية الاعتقاد أليس من الضحكات انكم انتم لا تتركونها لهم . فاتركوا الى الخالق سبحانهُ محاسبة المخلوق عن اعماله ومعتقداته ولا تحسبوا انكم ترضونهُ تعالى بقتل اخوانكم وحرق عمائكم وتكسير اديانكم . وقد جاء في الانجيل انهُ يشرق شمسهُ على الخطاة والصالحين فهل انتم احكم منهُ تعالى لتطلبوا الارواح التي عفا عنها ومنحها نسيم الصبح ونور السماء . ولا تقولوا ان الزوان من الحنطة فمن يهتدي بامتهِ قد امر صريحاً في كتابهِ بان يترك إلى يوم الحصاد . ومع ذلك فاكثر الذي يخالفهُ زواناً هو يا جهلاء قمح ثمين بل هو اثمن قمحكم تقتلونهُ من حقلكم جهلاً وحسداً . افما يكفيكم تحسبون انكم تقتلون الزوان ايضاً لما ابعدتم ديكارت وسجنتم غاليلو واحرقتم بريتو

وما انفرد الدين في الضغط على حرية الضمير فقد اتى على الفلسفة ازمان انتقمت فيها لنفسها من الاكليروس والدين انتقاماً فظيعاً فهدمت الكنائس وذبحت الاساقفة والرهبان وقتلت كل من ذكر اسم الله العظيم اي انها عملت بالكنيسة ما عملت الكنيسة بها . ومن ذلك الحين الى الآن اسمع في كل يوم الفلسفة تتهم الكنيسة بالتعصب والجهل الوخيم واشياع هذه يتهمون تلك بالكفر والضلال المبين ذاهلين كلهم عن المبدإ السامي الازلي الذي وضعهُ الله في الانسان وهو : لا تمس حرية قريبك فإنها خلقت لتدين بل لتدان

اما الامر الاخير وهو احترام ملك الغير فكل تأثون يوجبهُ ويأمر بهِ ولكن اذا بالنظر في ما لا يرد لهُ عقاب في قوانين الامم . العمل فضيلة من امهن الفضائل التي تفتخر بها الامم الى ذرى المجد والقوة . وما يكسبهُ العامل من وراء عمله هو ملكهُ حلال لهُ اللهم اذا اتخذ اليهِ طريق الاستقامة والوسائط الشريفة المحللة وانفق في تحصيله قوة ذراعهِ فحسبهُ . ولكن ما القول في مَنْ يربح في البورصات في ساعة واحدة مليوناً من الفرنكات او الغروش بدون ان يستعمل راس مال غير ما لهُ من النفوذ المالي ووسائط الخداع والغش التي يطلع على الناس؟ ويحسن بنا ان لا نبدي في هذه المسألة رأياً من عندنا فنترجم بالحرف الواحد ما قالهُ الفيلسوف جول سيمون في هذا الصدد وهو :

« ان ما يربحهُ الاغنياء في البورصة من الارباح الفاحشة بلا تعب ولا تغلب مبني »
« اكثرهُ على غش الناس وخداعهم ليضاعفوا ثروتهم الطائلة بحركات مالية تستنزف اموال »

« الامة وتخرب في يوم واحد مئات من العيال والبيوت التجارية . وليس بين الوسائط الشريفة »
« المحللة ما يمكن ان يعطي الانسان مليوناً من الفرنكات الاَّ ان يكون هناك راسمال عظيم »
« يستعمله باستقامة واجتهاد او اختراع نافع يخترعه للعباد . وليس يجهل احد ما انطوت »
« عليه هذه العلق الحائلة التي تمتص دماء الشعوب وحياتهم هؤلاء الذين يدّعون الشرف »
« والاستقامة لكونهم لا يخالفون نص القانون ولكن مع معرفة الناس ذلك لا تجد بينهم من »
« يطاوعه قلبهُ على رفض اليد التي يمدونها ومعاملتهم كما يستحقون نعني معاملة اللصوص »
« والخداعين . ذلك لان الذهب كما قال فيهِ الشاعر اللاتيني جوفنال : طيب الرائحة حيثما »
كان ومن اينما خرج »
« فليهنأ اولئك السالبون بما سلبوا ولكن لتعلم الهيئة الاجتماعية ان في تخفيفتهم وتركها »
« مجازاتهم اهانةً للفضيلة والعمل والاجتهاد »

o

فرغنا من البحث في الواجبات السلبية اَلّتي للقريب فنختم بها هذهِ النبذة . ولقائل لا ترى الكاتب قد احاط بجميع وجوه الموضوع فقد بقي منهُ اهمهُ واقدسهُ . قال ان من واجبات الانسان للقريب ان لا يمس كيانهُ ولا شرفهُ ولا صيتهُ ولا حريتهُ ولا مالهُ فهل هذهِ هي فقط واجبات الانسان ؟ مررت يوماً فوجدت على قارعة الطريق اعمًى يفتك برجل فسرت مهرولاً ولم اتصدَّ لمنعهِ اتلست مذنباً وهل قمت بما يجب عليَّ للانسانيَّة . رأيت في تيار النهر رجلاً في خطر الغرق فتجاوزتهُ أيدوغ لي ان احسب نفسي بريئاً لان يديَّ لم تمس بشيء حياة ذلك الغريق ولا شرفهُ ولا صيتهُ ولا مالهُ ولا حريتهُ الطبيعيَّة والادبيَّة . ثم في المراقص والسهرات الشتوية رأيت بين الشموع الدرّة وصوف الحرير وتجالي التخفخة البشرية رجلاً لئيماً يحاول اقتناص فتاة ساذجة بجمال مكرهِ وخداعهِ واغضيت الطرف ولم انبه المسكينة حتى سقطت افلا يلحقني من ذلك مسئوليَّة

صبرًا فهذه كلها داخلة تحت الواجبات الايجابيَّة التي سيرد البحث فيها فيما يلي ان شاء الله

الكهربائيَّة في اميركا

تقدَّر قيمة الآلات الكهربائيَّة اَلّتي يتولد منها النور الكهربائي في اميركا بمئة مليون ريال وقيمة السلك الكهربائيَّة بسبع مئة مليون ريال وتبلغ الاموال اَلّتي انفقتها شركات النور الكهربائي والسكك الكهربائيَّة الفاً وخمس مئة مليون ريال